٤٣ – باب إكرام أهل بيت رَسُول الله ﷺ وبيان فضلهم

قَالَ الله تَعَالَى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣]، وَقالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢].

==========

قَالَ الله تَعَالَى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .

أي: إنَّما يُريدُ اللهُ أن يُذهِبَ عنكم مَساوِئَ الأخلاقِ والأعمالِ –يا أهلَ بَيتِ مُحَمَّدٍ– بما يأمُرُكم ويَنهاكم، ويُحِبُّ أن يُطَهِّرَكم تَطهيرًا مِن دنَسِ السَّيِّئاتِ .

عن أمِّ المؤمِنينَ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت (خرجَ النَّبيُّ ﷺ غَداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِن شَعَرٍ أسْوَدَ، فجاء الحَسَنُ بنُ عَليٍّ فأدخَلَه، ثمَّ جاء الحُسَينُ فدخَلَ معه، ثمَّ جاءت فاطِمةُ فأدخَلَها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخَلَه، ثمَّ قال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) رواه مسلم .

قال ابنُ تيميَّة: سياقُ الآيةِ يقتضي أنَّه يريدُ لِيُذهِبَ عنهم الرِّجسَ –الَّذي هو الخَبَثُ؛ كالفواحِشِ–، ويُطَهِّرَهم تطهيرًا مِن الفواحِشِ وغيرِها مِن الذُّنوبِ... والتَّطهيرُ عن الذَّنبِ: إمَّا بألَّا يَفعَلَه العَبدُ، وإمَّا بأن يتوبَ منه . ... وبالجُملةِ فالتَّطهيرُ الَّذي أراده اللهُ، والَّذي دعا به النَّبيُّ ﷺ: ليس هو العِصمةَ، بالاتِّفاقِ؛ فإنَّ أهلَ السُّنَّةِ عندَهم لا مَعصومَ إلَّا النَّبيُّ ﷺ. والشِّيعةُ يقولونَ: لا مَعصومَ غيرُ النَّبيِّ ﷺ، والإمامِ .

وَقالَ تَعَالَى (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) .

أي: هذا الذي ذكرتُ لكم وأمرْتُكم به؛ مِن اجتِنابِ الرِّجسِ مِنَ الأوثانِ، واجتِنابِ قَولِ الزُّورِ، والالتِزامِ بتَوحيدِ اللهِ: مِن تَعظيمِ شَعائِرِه، ومَن يُعَظِّمْ أعلامَ الدِّينِ الظَّاهرةَ، ومنها الهدايا، بإجلالِها والقيامِ بها، واستِسمانِها وتَكميلِها مِن كُلِّ وَجهٍ؛ فإنَّه يُبَرهِنُ بذلك على تَقواهُ وصِحَّةِ إيمانِه؛ فتَعظيمُها تابِعٌ لِتَعظيمِ اللهِ وإجلالِه، وتَعظيمُها مِن فِعلِ المتَّقينَ أصحابِ القُلوبِ المخلِصةِ الوَجِلةِ مِن خَشيةِ اللهِ .

ومن تعظيم شعائر الله تعظيم قرابة النبي ﷺ لإيمانهم وسابقتهم ولصحبتهم ولقرابة للنبي ﷺ .

٣٤٦ – وعن يزيد بن حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أنَا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَة، وَعَمْرُو ابن مُسْلِم إِلَى زَيْد بْنِ أرقَمَ ﷺ فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْن: لَقَدْ لقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُول الله ﷺ وسمعتَ حديثَهُ، وغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رسولِ الله ﷺ قَالَ: يَا ابْنَ أخِي، وَاللهِ لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهدِي، وَنَسيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رسولِ الله ﷺ فما حَدَّثْتُكُمْ، فَاقْبَلُوا، ومَا لاَ فَلاَ تُكَلِّفُونيهِ. ثُمَّ قَالَ: قام رَسُول الله ﷺ يَومًا فينا خَطِيبًا بمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ الله، وَأثْنَى عَلَيهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بَعدُ، ألاَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكَ أَنْ يَأتِي رسولُ ربِّي فَأُجِيبَ، وَأنَا تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكتابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهُ في أهلِ بَيْتِي، أذكرُكُمُ الله في أهل بيتي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أهْلُ بَيتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أهْلِ بَيتِهِ، وَلكِنْ أهْلُ بَيتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عقيل، وَآلُ جَعفَرَ، وآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هؤلاء حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ) رواه مسلم.

وفي رواية: «ألاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أحَدُهُما كِتَابُ الله وَهُوَ حَبْلُ الله، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلاَلَة».

٣٤٧ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن أَبي بكر الصديق ﷺ مَوقُوفًا عَلَيهِ – أنَّهُ قَالَ: ارْقَبُوا مُحَمدًا ﷺ في أهْلِ بَيْتِهِ. رواه البخاري.

معنى «ارقبوه»: راعوه واحترموه وأكرموه، والله أعلم.

==========

(**زَيْد بْن أَرْقَمَ**) بن زيد بن قيس الأنصاريّ الخزرجيّ الصحابي المشهور، أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في "سورة المنافقين"، مات سنة ست، أو ثمان وستين .

(**فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْن: لَقَدْ لقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُول الله ﷺ وسمعتَ حديثَهُ، وغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثيرًا**) هذا الكلام قدّمه ليستحثّه على أن يحدّثهم، كما قال: (حَدِّثْنَا يَا زيدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ) زيد –رضي الله عنه– .

(**قَالَ: يَا ابْنَ أخِي، وَاللهِ لقد كَبِرَتْ سِنِّي**) أي : عمري .

(**وَقَدُمَ عَهدِي**) بضمّ الدال المهملة، أي: تقدّم زمان لقائي به عليه الصلاة والسلام .

(**وَنَسيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي**) أي : أحفظ .

(**فما حَدَّثْتُكُمْ، فَاقْبَلُوا**) لأنه مما لم أنسه .

(**ومَا لاَ**) أي: والذي لم أحدّثكم به من قِبَل نفسي

(**فَلاَ تُكَلِّفُونيهِ**) أي: بأن أحدّثكم؛ لأنه ليس من محفوظي .

(**ثُمَّ قَالَ: قام رَسُول الله يَومًا فينا**) معاشر الصحابة .

(**خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى**) أي: يسمّى ذلك الماء .

(**خُمًّا**) بضمّ الخاء المعجمة، وتشديد الميم: اسم لِغَيْضَة على ثلاثة أميال من الجحفة، عندها غَدِير مشهور يضاف إلى

الغيضة، فيقال: غَدير خُمّ، قاله النوويّ –رحمه الله– .

(**أَمَّا بَعدُ، ألاَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ**) يقرب .

(**أَنْ يَأتِيَ رسولُ ربِّي**) أي : ملك الموت .

(**فَأُجِيبَ**) أي: أموت، كَنَى عنه بالإجابة؛ إشارةً إلى أنه ينبغي تلقيه بالقبول، كأنه مجيب إليه باختياره .

(**وَأنَا تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ**) قال العلماء: سُمّيا ثقلين؛ لِعِظَمهما، وكِبَر شأنهما، وقيل: لِثِقَل العمل بهما، قاله النوويّ .

(**أَوَّلُهُمَا**)؛ أي: أول الثقلين:

(**كِتَابُ اللهِ**) تعالى، قدَّمه؛ لأحقيته بالتقديم .

(**فَخُذُوا بِكتابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**) فإنه السبب الموصل إلى المقامات العليّة، والسعادة الأَبدية، فمن أخذ به واستمسك، كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ وأخطأ طريق السعادة، وهلك في ميادين الحيرة، والشقاوة.

قال الطيبيّ –رحمه الله–: معنى التمسّك بالقرآن: هو العمل بما فيه، وهو الائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، والتمسّك بأهل البيت: محبّتهم، والاهتداء بهديهم وسيرتهم.

(**وَأَهْلُ بَيْتِي**) أي: ثاني الثقلين هم أهل بيتي .

(**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**) أي: في الوصية بهم، واحترامهم، وكرّره ثلاثًا للتأكيد، قال الفخر الرازيّ: جعل الله تعالى أهل بيته مساوين له في خمسة أشياء: في المحبة، وتحريم الصدقة، والطهارة، والسلام والصلاة، ولم يقع ذلك لغيرهم.

(**قَالَ**) حصين .

(**وَمَنْ هُمْ؟**) أهل بيته ﷺ .

(**قَالَ**) زيد .

(**هُمْ آل عَلِيٍّ**) بن أبي طالب، (وَآل عَقِيلٍ) بن أبي طالب، (وَآل جَعْفَرٍ) بن أبي طالب، (وَآلُ عَبَّاسٍ) بن عبد المطّلب عم النبيّ ﷺ. (قَالَ) حصين (كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ) زيد (نَعَمْ) حُرمت الصدقة عليهم.

١–اختلف أهلُ العِلمِ في المرادِ بآلِ النَّبِيِّ ﷺ على أقوالٍ أرجَحُها أنهم الذين تحرُمُ عليهم الصَّدَقةُ، وهو منصوصُ الشَّافعيِّ وأحمَدَ ، وهو اختيارُ جُمهورِ أصحابِهما . لكِنِ اختَلَف العُلَماءُ في تحديدِ من تحرُمُ عليهم الصَّدَقةُ على أقوالٍ، أقواها قولانِ:

القَولُ الأوَّلُ: أنَّهم بنو هاشمٍ، وبنو المطَّلِبِ، وهذا مَذهَبُ الشَّافعيِّ وأحمَدَ في روايةٍ عنه.

القَولُ الثَّاني: أنهم بنو هاشمٍ خاصَّةً، وهذا مَذهَبُ أبي حنيفةَ، والمشهورُ عن أحمدَ واختيارُ ابنِ القاسِمِ صاحِبِ مالِكٍ .

٢–الراجح من أقوال العلماء أن أزواج النبي ﷺ من آل بيته ﷺ .

قال تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) .

فسياق الآيات الكريمات في سورة الأحزاب يدل على دخول أزواج النبي ﷺ في اسم " أهل البيت " الوارد في القرآن الكريم .

فالآيات في بدايتها وفي آخرها يخاطب فيها الرب جل وعلا نساء النبي ﷺ ، فكيف يقال إن المخاطب في قوله عز وجل : (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) غيرهن ؟! بل كان عكرمة رحمه الله ينادي في السوق : نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة .

قال عِكْرِمةُ: من شاء باهَلْتُه أنَّها نزلت في نساءِ النَّبِيِّ ﷺ .

قال البيهقي : باب الدليل على أن أزواجه ﷺ من أهل بيته في الصلاة عليهن ؛ وذلك لأن الله تعالى خاطبهن بقوله تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول) ثم ساق الكلام إلى أن قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ، وإنما قال : (عنكم) بلفظ الذكور ؛ لأنه أراد دخول غيرهن معهن في ذلك ، ثم أضاف البيوت إليهن فقال : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) . (السنن الكبرى)

قال الزَّمخشريُّ: في هذا دليلٌ بيّنٌ على أنَّ نِساءَ النَّبِيِّ ﷺ من أهلِ بَيتِه .

وقال القُرطبيُّ : الذي يظهَرُ مِنَ الآيةِ أنَّها عامَّةٌ في جميعِ أهلِ البَيتِ مِنَ الأزواجِ وغَيرِهم. وإنما قال: وَيُطَهِّرَكُمْ؛ لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وعَلِيًّا وحَسَنًا وحُسَينًا كان فيهم، وإذا اجتمعَ المذكَّرُ والمؤنَّثُ غُلِّب المذَكَّرُ، فاقتَضَت الآيةُ أنَّ الزَّوجاتِ مِن أهلِ البَيتِ؛ لأنَّ الآيةَ فيهنَّ والمخاطَبةُ لهُنَّ، يدُلُّ عليه سياقُ الكلامِ... فالآياتُ كُلُّها من قَولِه: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ -إلى قَولِه-: إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا منسوقٌ بَعْضُها على بعضٍ. فكيف صار في الوَسَطِ كلامٌ منفَصِلٌ لغَيرِهنَّ؟!

وقال ابن كثير : الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، فإن سياق الكلام معهن ؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي : اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد ، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس . (التفسير) .

وقال البيضاويُّ : تخصيصُ الشِّيعةِ أهلَ البَيتِ بفاطِمةَ وعليٍّ وابنَيْهما ﷺ: ضعيفٌ؛ لأنَّ التخصيصَ بهم لا يناسِبُ ما قَبْلَ الآيةِ وما بَعْدَها، والحديثُ يقتضي أنَّهم من أهلِ البَيتِ، لا أنَّه ليس غيرُهم .

قال العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله : فإن قيل: إن الضمير في قوله : (ليذهب عنكم الرجس)، وفي قوله : (ويطهركم تطهيرا)، ضمير الذكور ، فلو كان المراد نساء النبي ﷺ لقيل : (ليذهب عنكن ويطهركن) .

فالجواب من وجهين:

الأول : الآية الكريمة شاملة لهن ولعلي والحسن والحسين وفاطمة ، وقد أجمع أهل اللسان العربي على تغليب الذكور على الإناث في الجموع ونحوها.

الوجه الثاني: هو أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل ، وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر ، ومنه قوله تعالى في موسى : (فقال لأهله امكثوا)، وقوله : (سآتيكم) وقوله : (لعلي آتيكم) والمخاطب امرأته ; كما قاله غير واحد . (أضواء البيان) .

وهناك أدلة من السنة على صِحَّةِ إطلاقِ الآلِ وأهلِ النَّبِيِّ ﷺ على زوجاتِه الطَّاهراتِ رَضِيَ اللهُ عنهنَّ؛ منها:

-عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: قال النَّبِيُّ ﷺ (من يَعذِرُني من رجُلٍ قد بلغَني أذاه في أهلِ بَيتي؟ فواللهِ ما عَلِمْتُ على أهلي إلَّا خَيرًا، ولقد ذَكَروا رجلًا... ما كان يدخُلُ على أهلي إلَّا معي).

وعنها قالت (ما شَبِعَ آلُ محمَّدٍ ﷺ منذ قَدِمَ المدينةَ من طعامِ بُرٍّ ثلاثَ ليالٍ تِباعًا، حتى قُبِضَ).

وعنها رَضِيَ اللهُ عنها قالت: (إنَّا -آلَ محمَّدٍ- لا تحِلُّ لنا الصَّدَقةُ).

قال ابنُ قُدامةَ تعليقًا على ذلك: هذا يدُلُّ على تحريمِها على أزواجِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

وقال ابنُ القيِّمِ: الصَّدَقةَ تحرُمُ عليهم؛ لأنها أوساخُ النَّاسِ، وقد صان اللهُ سُبحانَه ذلك الجَنابَ الرَّفيعَ وآلَه من كلِّ أوساخِ بني آدَمَ، ويا للهِ العَجَبُ، كيف يدخُلُ أزواجُه في قَولِه ﷺ: (اللَّهُمَّ اجعَلْ رِزْقَ آلِ محمَّدٍ قُوتًا)،... وفي قَولِ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: (ما شَبِعَ آلُ رسولِ اللهِ مِن خُبزِ بُرٍّ)، وفي قَولِ المصَلِّي: (اللهُمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ)، ولا يدخُلْنَ في قولِه: (إنَّ الصَّدَقةَ لا تحِلُّ لمحمَّدٍ ولا لآلِ محمَّدٍ)؟! مع كونِها من أوساخِ النَّاسِ، فأزواجُ رَسولِ اللهِ ﷺ أولى بالصِّيانةِ عنها والبُعدِ منها) .

٣- الواجب نحوهم :

من أصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّهم يحبُّون آلَ بَيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ يُحِبُّونَهم لأمرَينِ:

للإيمانِ .

وللقَرابةِ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، ولا يَكرَهونَهم أبدًا.

قال ابنُ تَيميَّةَ عن أهلِ السُّنَّةِ: ويُحِبُّونَ أهلَ بَيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ ويتوَلَّونَهم، ويَحفَظونَ فيهم وَصِيَّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ حيثُ قال يومَ غَديرِ خُمٍّ: أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بَيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي ، وقال أيضاً للعباس عمّه وقد اشتكى إليه أنَّ بعضَ قريش يجفو بَنِي هاشم فقال : والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتَّى يُحبُّوكم لله ولقرابَتِي .

وقال أيضاً : وكذلك آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتُها؛ فإنَّ الله جعل لهم حقًّا في الخمس والفيء، وأمر بالصلاةِ عليهم مع الصلاةِ على رسول الله ﷺ، فقال لنا: (قولوا: اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وبارِك على محمد وعلى آل محمد كما بارَكتَ على آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ) .

وقال أيضاً : وكذلك أهل بيت رسول الله ﷺ تجبُ مَحبَّتُهم وموالاتُهم ورعايةُ حقِّهم .

وقال السعدي : فمحبة أهل بيت النبي ﷺ من وجوه منها-:

أولاً : لإسلامهم وفضلهم وسوابقهم.

ومنها : لما يتميزون به من قرب النبي ﷺ واتصالهم بنسبه.

ومنها : لما حث عليه ورغب فيه .

ومَن لَم يكن منهم صحابيًّا، فإنَّهم يُحبُّونَه لإيمانِه وتقواه، ولقربه من رسول الله ﷺ .

لما ورد في فضلهم في الكتاب والسنة .

قال اللهُ تعالى (إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .

ففي هذه الآيةِ مَنقَبةٌ عظيمةٌ شَرَّف اللهُ بها آلَ البيتِ؛ حيثُ طهَّرهم من الرِّجْسِ تطهيرًا.

ولقوله ﷺ (أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي) .

أي: أحَذِّرُكم اللهَ في شأنِ أهلِ بيتي، وأقولُ لكم: اتَّقوا اللهَ، ولا تؤذوهم، واحفَظوهم، فالتذكيرُ بمعنى الوَعظ .

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ قال: قال رَسولُ الله ﷺ (والذي نفسي بيَدِه، لا يُبغِضُنا أهْلَ البَيتِ رجلٌ إلَّا أدخَلَه اللهُ النَّارَ).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت (خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) رواه مسلم .

وعن سعد بن أبي وقاص قال (لما نزلت هذه الآية (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُم) دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: "اللهم هؤلاء أهلي) .

وبناء على هذين الحديثين وغيرهما كثير فإن عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا ﷺ داخلون في الآية بنص قول رسول الله ﷺ .

قال أبو بكر : ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته.

وقال أبو بكر أيضًا: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي .

وما قول أبي بكر إلا التأكيد لما فهمه من رسول الله ﷺ في هذا الشأن، والبيان العملي لما ينبغي أن يكون عليه سلوك المؤمن من حب آل البيت ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: يخاطِبُ بذلك الناسَ ويوصيهم به، والمراقبةُ للشيء: المحافظةُ عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم ولا تُسيئوا إليهم .

وفي صحيح البخاري عن عُقبة بن الحارث ﷺ قال: " صلَّى أبو بكر ﷺ العصرَ ثم خرج يَمشي، فرأى الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان، فحمله على عاتقه، وقال: بأبي شبيهٌ بالنبي ... لا شبيهٌ بعلي ، وعليٌّ يضحك) .

قال الحافظ في شرحه: " قوله: (بأبي) : فيه حذفٌ تقديره أفديه بأبي "، وقال أيضاً: " وفي الحديث فضلُ أبي بكر ومحبَّتُه لقرابةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وروى ابن سعد في الطبقات عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال للعباس ﷺ : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب – يعني والده – لو أسلم ؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب .

وعن الشعبي قال : صلى زيد بن ثابت ﷺ على جنازة ، ثم قُرّب له بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه ، فقال زيد : خل عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال هكذا نفعل بالعلماء ، فقبّل زيد يد ابن عباس وقال ، هكذا أُمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبينا . (الطبقات لابن سعد) .

وفي كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أنَّ عمر بنَ الخطاب ﷺ لَمَّا وضع ديوان العَطاءِ كتب الناسَ على قَدْرِ أنسابِهم، فبدأ بأقربِهم فأقربهم نسباً إلى رسول الله ﷺ، فلمَّا انقضت العربُ ذكر العَجَم، هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين، وسائر الخلفاء من بَنِي أُميَّة ووَلَدِ العباس إلى أن تغيَّر الأمرُ بعد ذلك .

أورد الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : أن الحسن بن علي دخل على معاوية في مجلسه ، فقال له معاوية : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ﷺ ، وأمر له بثلاثمائة ألف.

وأورد ابن كثير أيضاً في البداية :أن الحسن والحسين رضي الله عنهما وفدا على معاوية رضي الله عنه ، فأجازهما بمائتي ألف ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي ، فقال الحسين ، ولم تعط أحد أفضل منا .

قال المناوي: بُغْضُهم يُوجِبُ النَّارَ، كما جاء في عِدَّةِ أخبارٍ، كيف وهم أبناءُ أئِمَّةِ الهُدى ومصابيحِ الدُّجى الذين احتجَّ اللهُ بهم على عبادِه، وهم فُروعُ الشَّجَرةِ المبارَكةِ وبقايا الصَّفوةِ الذين أذهب عنهم الرِّجسَ وطَهَّرهم وبرَّأهم من الآفاتِ، وافترض مودَّتَهم في كثيرٍ مِنَ الآياتِ)

وقال أحمدُ بنُ حَنبَلٍ: أجمع تسِعونَ رَجُلًا من التابعينَ، وأئمَّةِ المسلِمين، وأئمَّةِ السَّلَفِ، وفُقهاءِ الأمصارِ، على أنَّ السُّنَّةَ التي توفِّيَ عنها رسولُ اللهِ ﷺ:... الترَحُّمُ على جميعِ أصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وعلى أولادِه وأزواجِه وأصهارِه، رِضوانُ اللهِ عليهم أجمعينَ. فهذه السُّنَّةُ الزَموها تسْلَمُوا، أخذُها هُدًى، وتركُها ضلالة

,قال الآجُرِّيُّ: واجِبٌ على كلِّ مُؤمِنٍ ومُؤمِنةٍ محبَّةُ أهلِ بَيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ: بنو هاشِمٍ، عليُّ بنُ أبي طالِبٍ ووَلَدُه وذُرِّيَّتُه، وفاطِمةُ ووَلَدُها وذُرِّيَّتُها، والحَسَنُ والحُسَينُ وأولادُهما وذُرِّيَّتُهما، وجَعفَرٌ الطَّيَّارُ ووَلَدُه وذُرِّيَّتُه، وحمزةُ ووَلَدُه، والعبَّاسُ ووَلَدُه وذُرِّيَّتُه ﷺ، هؤلاء أهلُ بيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ، واجِبٌ على المسلِمين محبَّتُهم وإكرامُهم، واحتِمالُهم، وحُسْنُ مُداراتِهم، والصَّبرُ عليهم، والدُّعاءُ لهم، فمَن أحسَنَ مِن أولادِهم وذرارِيِّهم، فقد تخلَّق بأخلاقِ سَلَفِه الكِرامِ الأخيارِ الأبرارِ، ومن تخلَّق منهم بما لا يَحسُنُ مِنَ الأخلاقِ، دُعِيَ له بالصَّلاحِ والصِّيانةِ والسَّلامةِ، وعاشَرَه أهلُ العَقلِ والأدَبِ بأحسَنِ المعاشَرةِ .

وقال ابنُ تَيميَّةَ : لا رَيْبَ أنَّ محبَّةَ أهلِ بَيتِ النَّبِيِّ ﷺ واجبةٌ... بل هو ممَّا أمَرَنا اللهُ به، كما أمَرَنا بسائرِ العبادات.

وقال ابنُ كثيرٍ: لا تُنكَرُ الوَصاةُ بأهْلِ البَيتِ، والأمرُ بالإحسانِ إليهم، واحترامُهم وإكرامُهم؛ فإنَّهم من ذُرِّيَّةٍ طاهرةٍ؛ من أشرَفِ بَيتٍ وُجِدَ على وجهِ الأرضِ فَخْرًا وحَسَبًا ونَسَبًا، ولا سِيَّما إذا كانوا متَّبِعينَ للسُّنَّةِ النَّبَويَّةِ الصَّحيحةِ الواضِحةِ الجَلِيَّةِ، كما كان عليه سلَفُهم، كالعبَّاسِ وبَنِيه، وعليٍّ وأهلِ بَيْتِه وذُرِّيَّتِه، ﷺ أجمعينَ .

وقال ابنُ عُثَيمين : من أصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّهم يحبُّون آلَ بَيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ يُحِبُّونَهم لأمرَينِ: للإيمانِ، وللقَرابةِ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، ولا يَكرَهونهم أبدًا.

ولكِنْ لا يقولونَ كما قال الرَّافِضةُ: كُلُّ من أحَبَّ أبا بكرٍ وعُمَرَ فقد أبغض عليًّا! وعلى هذا فلا يمكِنُ أن نحِبَّ عَلِيًّا حتَّى نُبغِضَ أبا بكرٍ وعُمَرَ! وكأنَّ أبا بَكرٍ وعُمَرَ أعداءٌ لعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ! مع أنَّه قد تواتر النَّقلُ عن عليٍّ ﷺ أنَّه كان يُثني عليهما على المِنْبَرِ . فنحن نقولُ: إنَّنا نُشهِدُ اللهَ على محبَّةِ آلِ بَيتِ الرَّسولِ ﷺ وقرابتِه؛ نحِبُّهم لمحبَّةِ اللهِ ورَسولِه . (شرح العقيدة الواسطية) .

٤-تنبيه : أنَّ ذِكرَ عليٍّ وفاطمةَ وابنيهِما ﷺ في حديث الكِساء وحديث المباهلة المتقدِّمَين لا يدلُّ على قَصْر أهل البيت عليهم، وإنَّما يدلُّ على أنَّهم من أخصِّ أهل بيته، وأنَّهم مِن أَوْلَى مَن يدخل تحت لفظ (أهل البيت) .

٥-شروط ولاية أهل السنة لآل بيت رسول الله ﷺ :

الشرط الأول : أن يكونوا مؤمنين مستقيمين على الملة ..

فإن كانوا كفاراً فلا حق لهم في الحب والتعظيم والإكرام والولاية ، ولو كانوا من أقرب الناس إلى النبي ﷺ ، كعمه أبي لهب ..

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تقرير هذا الشرط : فنحن نحبهم لقرابتهم من رسول الله عليه السلام ، ولإيمانهم بالله ، فإن كفروا فإننا لا نحبهم ولو كانوا أقارب الرسول عليه السلام ، فأبو لهب عم الرسول عليه السلام لا يجوز أن نحبه بأي حال من الأحوال ، بل يجب أن نكرهه لكفره ، ولإيذائه النبي ﷺ ، وكذلك أبو طالب ، فيجب علينا أن نكرهه لكفره ، ولكن نحب أفعاله التي أسداها إلى الرسول عليه السلام من الحماية والذب عنه .

الشرط الثاني : أن يكونوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة ..

فإن فارقوا السنة وتركوا الجادة ، وخالفوا هدي النبي ﷺ ، وتلبسوا بالبدع والمحدثات ، فإنه ليس لهم حق في الحب والتعظيم والإكرام والولاية ، حتى يرجعوا إلى السنة ، ويتمسكوا بها ، والواجب في هذه الحالة دعوتهم إلى العودة إلى الكتاب والسنة ، ونبذ ما سواهما من الأهواء والبدع ، وأن يكونوا على ما كان عليه سلفهم ، كعلي رضي الله عنه وسائر بنيه ، والعباس رضي الله عنه وأولاده .

يقول العلامة صديق حسن خان رحمه الله في تقرير هذا الشرط في معرض التعليق على حديث: (تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي) -الحديث حسن بالمتابعة-: المراد بهم من هو على طريقة الرسول ﷺ وسمته ودله -أي حاله-، وهديه ولا يستقيم المقارنة بكتاب الله إلا إذا كانوا موافقين له عاملين به ، فمعيار الأخذ بالعترة اتفاقهم بالقرآن في كل نقير وقطمير ... إلى أن قال : وأما من عاد منهم مبتدعاً في الدين فالحديث لا يشمله ، لعدم المقارنة وهذا أوضح من كل واضح ، ولا يخفى إلا على الأعمى ، وكم من رجال ينسبونهم إليه ﷺ في اتحاد الطين قد خرجوا من نسبة الدين ، ودخلوا في عداد المنتحلين والغالين والجاهلين ، وسلكوا سبيل المبتدعين المشركين ، كالسادة الرافضة والخارجة والمبتدعة ونحوهم ، فليس هؤلاء مصداق هذا الحديث أصلاً وإن صحت نسبهتم الطينية إليه ﷺ فقد فارقوه في السنة الدينية .

٥-أهلُ السُّنَّةِ يَتبَرَّؤون مِن طَريقةِ النَّواصِبِ الجافِينَ لأهْلِ البَيتِ، ومِن طَريقةِ الرَّوافِضِ الغالِينَ فيهم؛ فهم وَسَطٌ بين الفِرقَتَينِ .

و أهلُ السُّنَّةِ لا يَخرُجون في وَصفِ آلِ البَيتِ عن المشروعِ في حَقِّهم، فلا يُغالون في أوصافِهم، ولا يَعتَقِدون عِصْمَتَهم، بل يَعتَقِدون أنَّهم بَشَرٌ تَقَعُ منهم الذُّنوبُ كما تَقَعُ من غيرِهم .

٦- أنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة هم أسعَدُ الناس بتنفيذ وصيَّة النَّبِيِّ ﷺ في أهل بيتِه التي جاءت في هذا الحديث؛ لأنَّهم يُحِبُّونَهم جميعاً ويتوَلَّونَهم، ويُنزلونَهم منازلَهم التي يستحقُّونَها بالعدلِ والإنصافِ، وأمَّا غيرُهم .

فقد قال ابن تيمية : وأبعدُ الناسِ عن هذه الوصيَّة الرافضةُ؛ فإنَّهم يُعادُون العبَّاس وذُريَّتَه، بل يُعادون جمهور أهل البيت ويُعينون الكفَّارَ عليهم .